Coptology

ⲥⲁⲛⲱⲱ ⲛ̀ⲣⲉⲙⲛ̀ⲭⲏⲙⲓ

من التعليم الروحي للبابا كيرلس السادس

مذكرات شخصية

د. جورج حبيب بباوي

٢٠٠٩

www.coptology.org

من التعليم الروحي
للبابا كيرلس السادس

مذكرات شخصية

دكتور
جورج حبيب بباوي
٢٠٠٩

جدول المحتويات

مقدمة ١

١- الإسقيط ومذبح مار مينا ٣

٢- النار الإلهية..... ٦

٣- اسم ربنا يسوع المسيح والروح القدس الجوهرة الثمينة في الإبصاليات ٩

٤- الاسم والصليب في إبصالية الجمعة..... ١٤

٥- الروح القدس ينبوع التقديس والتطهير..... ١٨

٦- الاستعداد الروحي للتناول..... ٢٣

الاستعداد الروحي للتناول (١) ٢٤

الاستعداد الروحي للتناول (٢) ٢٩

الاستعداد الروحي للتناول (٣) ٣٤

٧- إبصالية لأسم ربنا يسوع المسيح ترتيب الأب مينا المتوحد..... ٤٢

مقدمة

لم يدرك الذين عاشوا مع القمص مينا المتوحد أنه كان قليل الكلام لا يميل إلى الأحاديث الطويلة. وكان مبدأ "الاختصار عبادة" هو أحد جوانب حياة التوحد، ولذلك كان يحرص على أن يتكلم مع الآخرين، كلٍ بحسب ما تسمح به ظروفه، وعلى قَدر احتماله. لم يكن يحب الجدل أو النقاش، بل كان يرتب التعليم على أساس مقدرة شخص السائل على استيعاب ما يسمع، والحرص على ألاَّ يصدم أحد بما هو غير معروف. كان يصف الذين لا يحبون البحث ويقفون في طريقه بـ "الدراويش"، فقد سعى دائماً إلى نقل مستوى المعرفة من المخافة إلى المحبة؛ لأن "مخافة الله تتقدم محبته"، ولأن خوف الله يزرع الحرص في النفس.

لقد أخفى الكثير في قلبه؛ لأنه كان يؤمن أن الله هو وحده القادر على أن يفتح قلوب الناس لمعرفةٍ أعظم. لذلك السبب لم يحدث نقاش أو جدال بيني وبينه، فقد كانت محبته أقوى من الكلام، وكان دائماً ما يقول لأكثر من شخص: "يا حبيب أبوك".

هذه المقدمة الموجزة جداً عن سلوك إنسان عاش معنا وخدمنا وخدمناه، ضرورية تماماً لفهم ما سوف يُعرض على القارئ، ربما لأول مرة في الكتابات القبطية المعاصرة. وقد دفعنا إلى تقديم هذه المذكرات للقارئ، تقدم العمر، والخوف من ضياع معرفة روحية أصبحت نادرة في زمان

ازدحمت فيه الكنائس بالبشر، وانعدمت فيه الرؤية الكنسية السماوية، تلك الرؤية التي كانت عندنا والتي سمعناها وأخذنا ما نستطيع أن نأخذه منها، وعلى قدر ما توفر لدينا من "اتساع القلب".

ولكن – والحق يقال – لم يكن أبونا مينا المتوحد هو المعلم الوحيد في هذا الجيل، بل كان معه أيضاً الكثير نذكر منهم الأنبا مرقس، والقمص ميخائيل إبراهيم، وعدد آخر من الكهنة لا زال بعضهم على قيد الحياة، وإن كنا – بسبب الظروف الحالية – لم نذكر أسماؤهم إلى أن يحين زمان الحرية.

دكتور

جورج حبيب بباوي

– ١ –

الإسقيط ومذبح مار مينا

كان القمص مينا المتوحِّد أب اعترافي، وكنت أُلازمه في كنيسة مار مينا بمصر القديمة. وكان هو أول من علَّمني التسبحة السنوية وصلاة المزامير، ومنه أيضاً تعلَّمت كيف أخبز "القربان"، وحكمة مار اسحق السرياني.

سألته يوماً بعد صلاة العشية إن كان يشتاق إلى الإسقيط وديـر البراموس، فقال لي في وداعة وابتسامة:

"أنت عاوز تعرف فين الإسقيط؟"

فقلت له: "الإسقيط هو وادي النطرون". وابتسم وقال:

"أنا عارف، لكن تعال أورِّيك فين الإسقيط".

وسار أمامي حتى وقفت أمام مذبح مار مينا في كنيسة مـار مينـا، وقال بصوت هادئ:

"يا رب افتح عيني الغلام"، ومد يده اليمنى ووضعها علـى رأسـي كعادته وصلَّى دون أن أسمع الكلمات، وابتسم وقال لي:

"المذبح ده أصله في الإرادة الأزلية لربنا يسوع المسيح، وهو كائن هنا أمامك بقدرة رب الجنود ونعمة تقديم ذاته كحمل بلا عيـب. هـذه إرادة

الذبح الإلهية، وهي إرادة التقديم مثل ينبوع يسكب المياه في كل الكنائس، أي النعمة، ويسقي النساك والرهبان والراهبات، وكل شعب المسيح، ويؤسس الأديرة والكنائس والأيقونات والسرائر، ويسكب القداسة على كل مَن هو متكل على إرادة الرب يسوع. هذه الإرادة هي التي جعلت لها مكاناً في الأديرة، وعند كل مذبح يوجد الدير".

وأشار بيده إلى صدره وقال:

"المذبح هنا؛ لأن الرب يسوع أراد أن يكون له مذبحاً في قلبي وفي قلبك، وعشان كدا دير البراموس هنا"، وأشار إلى الهيكل، ثم أشار إلى ذاته وقال:

"إن عشت في البتولية يبقى للرب يسوع دير عمران بالمحبة، وأيقونات التواضع والاعتراف بالإيمان. ويا ابني الأديرة شواهد حية لازم تنطبق على حياتنا الشخصية. ولذلك، فالعبرة ليست في هذا الدير أو ذاك، بل العبرة في الإرادة والمحبة وتكريس القلب لاسم ربنا يسوع المسيح. شفت فين دير البراموس؟ هنا عند مذبح مار مينا، ومار مينا هناك في دير البراموس، وعندك كمان مكسيموس ودوماديوس أولاد الأنبا مكاريوس". وأشار إلى أيقونة كانت على الحائط البحري في الكنيسة، وقال:

"كل دول أعضاء جسد المسيح الواحد، والعضو الحي في جسد المسيح يحس بباقي الأعضاء".

بعد ذلك بعدة أيام سألني وهو يبتسم:

"رُحت يا ابني دير البراموس؟"

وقلت له: "لأ لسة هاروح في إجازة عيد الميلاد مع أبونا شنودة السرياني (المتنيح الأنبا يؤانس مطران الغربية). وقال:

"طيب لَّما تروح هناك إبقى صلِّي لي".

وفجأة أدركت مغزى السؤال، ولكنني خجلت من الكلام، فقال وهو يدرك خجلي:

"يا رب أفتح عيني الغلام"، ثم أضاف: "للرب الأرض وملؤها، المسكونة وجميع الساكنين فيها".

وبعد صلاة العشية عمل تمجيد لمار مينا، وكانت له أيقونة في آخر الكنيسة ومقصورة مكتوب عليها: "فوق كل تحفُّظ أحفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة". وبعد التمجيد قال لي وهو يبتسم:

"دير البراموس في قلب مار مينا؛ لأنه أخذ إكليل البتولية وإكليل التوحُّد".

يا أبانا البار البابا كيرلس السادس،

لقد مرت سنوات طويلة قبل أن أستوعب هذه الرؤية الفريدة،

فقد اختفت المسافات والأشكال والأحجام والزمان نفسه؛

لكي يُستعلن المسيح ضابط الكل

الذي يجمع الكل

في وحدة روحية فائقة.

-٢-

النار الإلهية

في عيد الآباء مكسيموس ودوماديوس، وبعد القداس سألني إن كنت قد قرأت ما جاء عن "أولاد الملوك" في بستان الرهبان.

وقلت له: قرأت.

وسألني: "هل تعرف ما هي النار الإلهية التي كانت تخرج من الفم أثناء الصلاة؟"

فقلت: "لا أعرف".

فقال لي: "هي شفاعات وآهات الروح القدس الذي يشعل فينا نار المحبة الإلهية. هل طلبت هذه النار لنفسك حتى تستطيع أن تداوم على الصلاة وأن تُلازم اسم ربنا يسوع المسيح في قلبك؟"

وقبل أن أَرُد على السؤال تحوَّل أبونا مينا إلى شعلة من النار جعلتني أرتعب. فقال لي:

"روح يا ابني، بركة الآباء القديسين تعينك في جهادك".

بعد ذلك أعطاني مخطوطة رسائل الأنبا أنطونيوس الكبير، وطلب مني أن أقرأ وأن انسخ الرسالة الثامنة. وأعدت قراءة الرسالة أمامه، وهو يسمع دون أن يسألني، ولكن بعد رابع مرة سألني:

"فهمت؟"

فقلت له: "ليس كل ما قيل".

فقال لي: "أين ومتى نطلب الروح الناري؟"

فقلت: في صلاة الساعة الثالثة.

فقال: "بس؟ وفين في القداس؟ موش القداس فيه طلبة استدعاء الروح القدس؟"،

ثم سأل: "وفين في التسبحة السنوية؟"

فقلت لا أعرف. وابتسم، وقال:

"كل مرة تصلي فيها إبصالية اسم ربنا يسوع المسيح يحرِّك الروح القدس قلبك لكي تقول وتعترف بالمخلص يسوع المسيح إلهنا الصالح. لازم تصلي إبصالية كل يوم لاسم ربنا يسوع المسيح عشان تسكن فيك قوة وعمل الروح القدس الناري. وبعدين لمَّا تكبر شوية وعضمك يستحمل نبقى ندرس كل الإبصاليات".

أبي أنبا كيرلس ...

صلِّ لأجلنا ولأجل الكنيسة التي قدَّمْت لها ذاتك، والتي لها مذبح في قلبك، وأنت الآن قد عبرت بحر الأهواء، وتحيا في نار الروح القدس الذي

جعلك منارةً وقدوةً ومثالاً. ولأنك كنت قليل الكلام كثير المحبة لم نفهم ما كنت تؤسسه فينا إلاَّ بعد أيام وسنوات. لقد زاد كلامنا، وانعدمت أعمـــال المحبة، وتحول الانتقام والغش والكذب والكراهية إلى سلوك علني نقبله دون أن نلاحظ أن "مَن فقد المحبة فقد القداسة، ومَن فقد القداسة فقد الله نفسه؛ لأن الله محبة"[١].

(١) عبارة البابا كيرلس.

-٣-

اسم ربنا يسوع المسيح والروح القدس
الجوهرة الثمينة في الإبصاليات

عندما قال لي أبونا مينا المتوحد إن الصلاة – أي صلاتي الخاصة – لن تنال قوة الروح القدس إلاَّ إذا صلَّيت ودرست الإبصاليات، شجعني هذا على حفظ الإبصاليات وتلاوتها.

في جلسة خاصة بعد قداس الأربعاء في كنيسة مار مينا قال لي:

"قلت الإبصالية بتاع النهاردة؟"

قلت له: نعم.

وقال: "فهمت اللي فيها؟"

قلت له: على قدِّي.

قال: "طيب نعمل امتحان ونشوف التلميذ هيسقط ولاَّ ينجح. بتقول أيه الإبصالية عن اسم ربنا يسوع المسيح؟

فقلت له: "الملازمون كل حين تلاوة اسمه القدوس

هم الأشجار ... عند مجاري المياه (مز ١: ٣)

مجرى المياه هو مخلصنا ربنا يسوع المسيح،

والملازمون له تحيا نفوسهم".

فقال على الفور: "الكلام ده فين في الكتاب المقدس؟"

فقلت: في المزمور.

وقال: "وفين تاني؟"

ولَّما ترددت في الإجابة، قال لي:

"في كلام الرب يسوع مع المرأة السامرية؛ لأن الماء الحي هو الـــرب يسوع (يو ٤: ١٤). وبعد كده، يقول الرب وهو ينادي، موش بيقول كلام في السر: "إن عطش أحد فليقبل إلىَّ ويشرب. قال هذا عن الروح القدس" (يو ٧: ٣٧)، وتفسير هذا الكلام تلقاه (تجده) في الأُوشية: "اسمك القدوس هو الذي نقوله – يعني نتلوه – فلتحيا نفوسنا بروحك القـــدوس" (أوشـــية السلامة الكبيرة)، وعشان كده بقية الإبصالية بتقول:

"الجوهرة اللؤلؤة الكثيرة الثمن

الاسم المملوء مجداً

الذي لربنا يسوع المسيح".

وده تلقاه في المثل: الراجل اللي باع كل شيء واشترى الحقل عشان الكنز اللي فيه (مت ١٣: ٤٦)، والإبصالية تشرح المثل وتقول إن اسم ربنا يسوع يجعلنا أغنياء. فهمت يا أخ؟"

وقلت له: فهمت.

فقال لي: "لا لسة شوية. صلوات الكنيسة تفتح لك كنوز الأســـفار المقدسة، وتعطي لك التعليم الصحيح.

بكرة هَمتحنك في إبصالية الخميس، روح بقى استعد للامتحان".

* * *

قرأت إبصالية الخميس عدة مرات، ووجدت أنها تحتوي حياة الرب يسوع المولود من الآب قبل كل الدهور حتى الظهور الثاني. وحاولـــت أن أفهم لماذا نرتل هذه المراحل من حياة الرب، وتوقعت أسئلة كثيرة، وحاولت أن أترك الكنيسة بعد القداس حتى لا أرسب في الامتحان، ولكن أبونا مينـــا المتوحد كان يعرف أحياناً خفايا قلبي، ولذلك عندما أعطاني "لقمة البركة" قال لي:

"أنت عاوز تهرب، مكسوف يا حبيبي؟"

فقلت له: مكسوف من جهلي.

فقال: "هو فيه حد اتولد متعلم؟ كلنا محتاجين للعلم، وأنا اتعلمـــت من شيوخ دير البراموس.

وهكذا سدَّ عليَّ الطريق.

وبعد أن قابل زوار الكنيسة، جلست معه للامتحان، فقال لي:

"فهمت أيه؟"

فقلت له: لا شيء سوى أن الإبصالية تقدم حياة يسوع المسيح ربنا من الأزل حتى الظهور الثاني.

فقال: "كويس، ده حلو، لكن ليه، أيه السبب؟"

فقلت له: لا أعرف.

فقال: "عجيب! أولاً بتقول الإبصالية نُبارك اسم الخـــلاص بـــدون انقطاع، وبعدين الميلاد الأزلي – التجسد – المعمودية – الصوم – الصليب – الدفن – القيامة – الظهور الثاني. لكن يا حبيبي اسمع دقات الخلاص؛ لأن دي زي الموسيقى السمائية:

+ المولود من الآب. ارحمنا كعظيم رحمتك. لأن رحمة الله هي سبب تجسده.

+ ولد في بيت لحم عشان يخلصنا.

+ اعتمد في الأردن "طهَّر نفوسنا من دنس الخطية"، وأنا ليَّ حديث طويل معاك عن تطهير الروح القدس، بس كل شيء بأوانه.

+ وبعدين الصوم، خلصنا وارحمنا.

+أما الصلب، فهو اسحق الشيطان تحت أقدامنا.

+ وجمال الدفن يا ابني "اكسر عنا شوكة الموت.

+ وبعدين القيامة، أقمنا بقوتك.

+ ورجاء كل مسيحي اللي هوَّ الرجاء الحي في الظهور الثـــاني، زي كلام القداس "كرحمتك يا رب وليس كخطايانا"، ولكن هذا التوسل عظيم "اصنع معنا محبة في منبرك المخوف"، ولا نقف عند هذا الرجاء، بل تكمـــل الإبصالية:"لأنك بإرادتك وحدك ومسرة أبيك والـــروح القـــدس أتيـــت وخلصتنا"[١].

---

(١) قارن هذه العبارة بالعبارات السادية في مقالة الأنبا بيشوي عن الكفارة والفداء، ولا حظ الفرق بين مسرة الآب، والآب الجلاَّد.

وختم كلامه بعبارة من رسالة القديس يعقوب: "الرحمة تفتخر على الحكم" (يع ٢: ١٣)، وأضاف إليها - حسب تسليم الشيوخ - "في يـــوم الدينونة".

– ٤ –

الاسم والصليب في إبصالية الجمعة

فهمت الدرس الأول والثاني، ولكن لم يكن الفهم هو شرح عبارات الإبصاليات، بل كان حسب كلمات أبونا مينا المتوحد هو "فهم الصلوات والحس الروحي الكامن وراء الصلوات والإحساس الروحي بها في النظرة أو الرؤيا الكاملة لحقيقة الخلاص".

كان أول تحذير من أبونا مينا هو أن لا أسقط في فخ الفصل والتقسيم، وكان يقول لي:

"طوبى للإنسان الذي يفهم ويدرك ويذوق إعلانات الله الآب كشجرة كاملة مثمرة لأنه يؤهَّل لأن يذوق ثمار الشجرة ويجني الفرح الأبدي بالروح القدس"، وكتب هذه العبارة على قصاصة ورق وأعطاني إياها لكي أضعها في كتاب التسبحة السنوية.

أدركت أن يوم الجمعة هو يوم الاحتفال بالصليب، ولذلك هو يوم صوم ما عدا الخماسين.

وإبصالية الخميس التي تسبق إبصالية الجمعة تجمع كل مميزات الخلاص لكي ترتب دخولنا إلى سر صليب رب المجد، وهنا نجد في إبصالية الجمعة:

+ العلامة، أي علامة الصليب، وقوتها التي تسد أفواه الأسود – تطفئ قوة النار – إخراج الشياطين – القوة على الأعداء – شفاء الأمراض.

+ هذه العلامة، أي رشم الصليب، لا تتم بالصمت، بل بذكر "الآب والابن والروح القدس".

والإبصالية تقول إن هذه العلامة هي "لمجد ربنا يسوع المسيح مع أبيه الصالح والروح القدس".

وتوقفت عند هذا الحد، وكنت سعيداً بما أدركته، وفي عشية الجمعة جاء اللقاء، وقال لي أبونا مينا المتوحد:

"بلاش حكاية الامتحان، خليه درس".

وعرضت عليه ما أدركته، فقال:

"حلو خالص. بس لسه فيه شيء مهم هَقوله عشان ما تتعبش في الكلام. أيه معنى هذه العبارة، أو هذا المقطع:

+ "هذا هو اسم الخلاص لربنا يسوع المسيح

وصليبه المحيي الذي صُلِبَ عليه".

يعني أيه الكلام ده؟ أيه الفرق بين الصليب، واسم اخرستوس؟"

فقلت له: موش عارف.

"فقال اخرستوس ☧ زي الصليب، والعلامة، أي علامة الصليب أخذت شكل زي شكل أول حرف في اسم الرب في القبطي[١]"

وقال أبونا مينا:

"يا ابني – يا حبيب أبوك – أوعى تتعلم التقسيم والفصل لأنك هتقع في ذات خطايا وأخطاء الهرطقات. الهرطقة تقسِّم وتفصل، والأرثوذكسية توحِّد وتجمِّع، وإذا كان الرب يسوع مات على الصليب لكي "يجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد" (يو ١١: ٥١)، لذلك علينا أن "نجمع معه"، لا أن نفرق مع الشيطان".

"كان شيوخ الدير يقولون: "باسم الصليب"، ويرشمون الصليب؛ لأن القوة في الاسم وفي العلامة؛ لأن الصليب هو صولجان رب المجد، ولذلك عندما يظهر الشيطان بشكل ملاك نور يسأله الشيوخ عن صولجان الرب يسوع، أي الصليب، وحالما يسمع الاسم يهرب. أبونا ميخائيل إبراهيم بيرشم علامة الصليب في كل خطوة؛ لأنه عايش تحت حماية وقوة الرب يسوع".

ثم أضاف:

"أنا هَدِّيك مساعدة في إبصالية يوم السبت، هتلاقي المقطع اللي بيقول: "أيها الاسم المملوء مجداً"، ودي من فيلبي ٢: ٦ – ٨، وهو مجد الله

---

(١) بعد سنوات، وأثناء الدراسة بجامعة كمبريدج وجدت النص عند العلامة أوريجينوس في شرح حزقيال ٩: ٤، وهو التسليم اليهودي القديم الخاص بحرف Taw أي "التاء". فهوا أول حرف في اسم التوراة وأن الحرف في اللغة العبرانية القديمة كان يكتب على شكل + (مجلد ١٣: ٨٠٠)، وقد أعاد نفس الشرح القديس جيروم في شرح حزقيال ٣: ٩ (مجلد ٢٥: ٨٨).

الآب المُعطى لنا بالروح القدس. كفاية عليك ده. روح رتِّـــل الإبصـــاليات وبعدين نكمل الكلام. إذا قدرت تذاكر قبطي يكون أحسن لك، بس لازم تعرف الحروف القبطي؛ لأن مثلاً إبصالية الأحد مرتَّبة على الحروف القبطي، وإذا عرفت ترتيب الأبجدية، كل حرف يذكِّرك بمقطع. ده كان ترتيب الآباء اللي درسوا إزاي الذاكرة في الإنسان بتشتغل. الرب يسوع يزرع فيك محبة اسمه القدوس".

رشمني بالصليب، وتوقفت الدروس، و لم أتجاسر على السؤال؛ لأنـــني كنت أثق في أنه سوف يطلب مني مراجعة ودراسة ما سمعته[١].

(١) نقلت هذه السطور من مذكراتي الشخصية، وكلها تقع في الفترة ما بين ٥ يناير إلى ١٤ فبراير ١٩٥٧م

– ٥ –

الروح القدس ينبوع التقديس والتطهير

كان القمص مينا المتوحد يصلي قداساً كل يوم على مدار السنة. وكان تلاميذ مدارس الأحد يسألون: كيف؟ ولم أفهم هذا السؤال في بداية الأمر. وكنت لا أجد في نفسي الشجاعة لأن أسأله عن حياته الشخصية؛ ولأنه كان قليل الكلام يفضِّل الصلاة على الطعام والنوم وضروريات الحياة، فقد كان من الصعب أن أتجاوز حدودي لكي أسأله عن حياته الخاصة، وكيف يستعد لكل قداس. لكن الله رتَّب الفرصة التي سمعت فيها لأول مرة تعليماً عذباً معزياً يكشف عن عمق حياة راهب متوحد عاش حياة الامتلاء من الروح القدس وآمن بالقدوة والمثال لا بالوعظ وبالكلام.

كُنّا في شهر كيهك، وتسبحة سبعة وأربعة لها مكان في التقوى الشعبية لا سيما بعد عشية السبت، ولكن النوم غلبني أثناء التسبحة، وأثناء النوم حدث "احتلام"، ولم أكن قد توقعت هذا. جاء أبونا مينا المتوحد لرفع بخور باكر وطلب مني أن أخدم معه في الهيكل، فاعتذرت وذكرت له السبب، فقال لي: يعني عاوز الوضوء؟

فقلت له: لا.

فقال: أُمَّال أيه. روح هات التونية بتاعتك وبلاش نكد، اخدم يا ابني، قوة التقديس من المعمودية والميرون وتناول الجسد قبل الاحتلام وبعد الاحتلام لا يمكن لإفرازات الجسد أن تمحوها، بل هي ينبوع حياة أبدية فينا وسواء كنت قد رأيت مناظر نجسة أم لم ترَ هذه المناظر، فالحال واحد، هو أن تسرع إلى الرب يسوع لكي يقدِّسك ويجددك.

ولَّما أحس بأنني متردد، قال لي: أُمَّال يعني أنت فاكر أنا بعمل أيه؟

فقلت له: موش عارف.

فقال لي: ليه هو أنا موش إنسان. يا ابني شيوخ الدير علمونا إن الإنسان ينال التقديس مرة واحدة، ولا يمكن لإفرازات الجسد أن تمحو هذا التقديس لأن ختم المعمودية وأختام الميرون دي موش طقوس مؤقتة تزول، بل عطية إلهية دائمة. تعال اخدم وبعدين نبقى نتفاهم.

وخدمت القداس، وكان تعزية كبيرة. وبعد القداس أعطاني قربانة حمل كاملة، وقال: كده أحسن ولاَّ كنت تقف هنا (وأشار إلى مكان المرتل) وتبقى متنكد؟

فقلت له: كده أحسن.

فقال: التعليم بأن الابتعاد عن سر التناول يؤهِّل الإنسان للاستحقاق تعليم مغشوش، لا يبتعد أي إنسان عن تناول جسد الرب ودمه إلاَّ إذا كان معندوش إيمان، وفي شركة مع الهراطقة. الاستحمام نظافة وليس قداسة. والنظافة الجسدانية لا تؤهِّل الإنسان للتناول، وإنما الطهارة الداخلية، ودي ليَّ فيها كلام معاك، لكن في الوقت المناسب. المهم أنك دلوقتي تعرف أن ينبوع

التقديس هوَّ في الروح القدس، موش في الاغتسال، ولا حتى في الصوم. أنا استلمت عن أبونا عبد المسيح المسعودي وشيوخ الدير أن كلمة "طهارة" في لغتنا القبطية هيَّ أصلاً "قداسة" في الرومي (اليونانية). وسألت الأستاذ يسى عبد المسيح[١] وأكَّد لي ذلك. فإذا كانت كلمة "طهارة" تساوي كلمة "قداسة" يبقى لَّما نقول في القداس الكيرلسي "طهِّر" يعني "قدِّس إنساننا الداخلي كطهر ابنك الوحيد" يعني كقداسة الابن الوحيد اللي أحنا ليس لنا دخل ولا أي أمكانية أن نضيف عليها شيء من عندنا، الرب يسوع يقدسنا بالروح القدس ويغسل أدناس خطايانا. وفي صلاة القسمة: "طهَّرنا نحن أيضاً يا سيدنا من خطايانا الخفية والظاهرة ... طهِّر نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا وقلوبنا وعيوننا وأفهامنا وأفكارنا". وبعد كده عاوز أنت تزوِّد من عندك مية الدُّش، لا يا حبيب أبوك، "استيقظ أيها النائم وقم من بين الأموات فيضيء لك المسيح" (أف ٥: ١٤). أحفظ هذا في قلبك وعيش بيه ولا تعطِ القدس للكلاب.

وكانت العبارة الأخيرة غريبة. وتمر الأيام وأخطأت في سرد هذا مع أحد أساتذة الكلية الإكليريكية الذي رَدَّ عليَّ بعنف، ووصف أبونا مينا المتوحد بالجاهل والمنحرف. وهنا فقط أدركت معنى التحذير الأخير: "لا تعطِ القدس للكلاب".

---

(١) كان من أعلام الأقباط، عمل أميناً للمتحف القبطي ومدرساً للغة القبطية واليونانية، وأتمنى أن يصدر كتاباً يجمع ما كتبه من مقالات، وما ترجمه من قطع عن المخطوطات القبطية.

وأخذت خلوة في الكلية الإكليريكية، فسأل عني القس شنودة السرياني الذي حمل إليَّ رسالة أبونا مينا المتوحد وقال لازم تروح لأبونا مينا هوَّ عاوز يشوفك. و لم أتأخَّر، ذهبت إلى صلاة عشية يوم السبت ورآني وهو يبخِّر وابتسم ووضع يده على رأسي. وبعد العشية دار حديثٌ كان نقطة تحول في حياتي، إذ فتح أمامي آفاق الحياة الأرثوذكسية في جوهرها.

سألني هل نعمة الأسرار أبدية أم مؤقتة؟

فقلت له دون أن أُدرك القصد، أبدية.

قال: إذن هل هي خاصة بالروح والجسد، ولاً بالروح وحده؟

فقلت: بالروح.

قال: بالروح وحده؟

قلت: ربما بالجسد.

قال: هل الجسد سيقوم في اليوم الأخير؟

قلت له: نعم.

قال: حلو، وهل الجسد بياخد نعمة القيامة الآن لكي تظهر وتكمل في اليوم الأخير؟

قلت: لا أعرف.

قال: طيب مين اللي بيغطس في مية المعمودية، الروح بجسدها ولاً الروح وحدها؟

قلت: الروح بجسدها.

قال: عال. ورشومات الميرون يا ابني أبدية – حسب كلمات الطقس – ولاً زمانية؟

قلت: أبدية لأنها عطية الحياة الأبدية وثبات في المسيح.

قال: كويس. ابتديت تفهم. يعني يبقى القانون اللي ربنا حاطه في جسم الإنسان، يمحي نعمة الأسرار؟ يعني عاوز أنت وأستاذك تقول إن الميرون مسحة الروح القدس أضعف من الاحتلام وطمث المرأة؟ يا ساتر يا رب. ده يا ابني تجديف وجهل، زي ما تكون بتقول للرب يسوع إنك موش عارف أن فيه إفرازات في الجسد، وأن الإفرازات دي وهي من عمل روح الله خالق الكل أقوى من نعمة الحياة الأبدية اللي بناخدها في الأسرار. طيب يعني لَّما بتتناول وتاخد جسد الرب ودمه، يبقى بعد التناول خلاص اتهضم المسيح وتحوَّل إلى طعام بائد زي الفول والطعمية؟ رب المجد الجالس على الشاروبيم هوَّ اللي يحولنا إلى حياته ومجده، موش أحنا اللي نحوله فينا إلى طعام بائد.

وسرت حرارة شعرت بها في الهواء، وكانت محيطة به مثل هالة، ونظر إليَّ وابتسم في وداعة وقال: طيب نبقى نكمِّل الكلام بعدين. يا ابني يا حبيب أبوك فكَّر في الأمور الأبدية وعمل الله الذي لا ينتهي لأن خالق الطبيعة هو فادي الطبيعة.

وانحنيت له في ميطانية وقلت له: أخطأت حاللني. فقال: الله يحالك ويحط بركة التعليم في قلبك علشان لَّما تحفظه يحفظك لمجد ربنا يسوع المسيح.

-٦-

الاستعداد الروحي للتناول

مرَّت أسابيع وقررت أن أحفظ كل ما أسمعه لأن وقت أو زمان الكلام لم يكن قد حان بعد، لا سيما وأن بعض أساتذة الكلية الإكليريكية كانوا أكثر صرامة من ابن حنبل في الأمور الجسدانية والاستعداد الجسداني للتناول، ولكن ظلَّ السؤال الذي يشغل قلبي كيف نستعد روحياً للتناول من جسد الرب ودمه؟ وكيف يستعد أبونا مينا المتوحد؟ وهل أستطيع أن أسأله هذا السؤال الخاص بحياته الشخصية، وأنا مجرد مبتدئ؟

وعدت على كنيسة مار مينا أثناء أجازة عيد القيامة، وكانت تبدأ بجمعة ختام الصوم. وخدمت في قداس جمعة ختام الصوم، وبعد القداس قال أبونا مينا لي: هتصلي معانا بكرة إن شاء الله؟

فقلت: نعم.

قال: عال؛ لأن فيه سؤال مهم عندك وأنت متردد تسألني علشان خجلان من أبوك، طيب يا سيدي بكرة لينا قعدة بعد القداس.

الاستعداد الروحي للتناول

(١)

بعد قداس سبت لعازر الذي لم يحضره في هذا اليوم إلاَّ عددٌ قليل، جلسنا معاً في المعمودية، وقال: أيه أول قانون الإيمان؟

قلت: نؤمن بإله واحد الله الآب ضابط الكل، خالق السموات والأرض.

قال: نسيت "بالحقيقة نؤمن"، زي بعضه، الإيمان بالله الآب ضابط الكل يعني المعتني بكل الخليقة لأنه خالق السموات والأرض. ده أول بند في الاستعداد القلبي، أن لا يكون في القلب سوى الإيمان بالله الآب ضابط الكل، وعليه تضع كل اتكالك، وتُعيد وتجدد اتكالك على الله الآب مهما كانت ظروف الحياة، حتى لو كانت قاسية. يعني في العشية، بعد صلاة العشية تقعد مع نفسك وتنظَّف نفسك بقانون الإيمان، أولاً بالله الآب ضابط الكل خالق السماء والأرض؛ لأنك تحت سلطان ورعاية الله الآب. الخوف والقلق والشك وكل فكر مهما كان، يتعارض مع صلاح الله الآب ضابط الكل لازم تدوس عليه، وتخش جُوَّا قلبك وتشوف الفكر والشعور اللي يتعارض مع عمل الله الآب ورعايته. فهمت يا ابني؟

فقلت: نعم.

قال: وثانياً بتقول "وبربٍ واحد يسوع المسيح ابـــن الله والوحيـــد المولود من الآب قبل كل الدهور". وده أساس حياة كل مسيحي؛ لأن ابـــن الله الوحيد جاء لكي يعطي لنا البنوة، ولازم تشوف أنت عايش كابن لله ولاً لأ، وتطرح كل أشكال العبودية: طلب المديح، والسعي لرضا الناس، وكل شيء يقيد حريتك كابن لله الآب في الرب يسوع المسيح.

ولّما نقول: "نور من نور"، يبقى المسيح هو نور حياتـــك الوحيـــد، ونور المسيح يسوع مخلصنا الصالح هو الوصية والتعليم اللي عَلِّم بيـــه، وده لازم يكون عندك زي الشمس لأن الرب يسوع هوَّ شمس البر، وإذا كان في قلبك تعليم أو فكر ضد وصايا الرب يسوع لازم تعترف بيها للرب وتطلب عنها الغفران، وبشكل خاص الحقد والغضب والبغضة والشماتة والعـــداوة وعدم الغفران.

إعمِل بالبند الأول والثاني بعد صلاة وتسبحة نصـــف الليـــل، وإذا افتكرت شيء شرير في قلبك قول: يا ربي يسوع المسيح ارحمني أنا الخاطي.

والبند الثالث ده كان واحد من شيوخ الدير يسميه بدايـــة دخولنـــا السما، وهو كلمات قانون الإيمان: "إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوي للآب في الجوهر. هذا الذي لأجلنا نحن البشر ولأجل خلاصنا نزل من السماء وتجسَّد من الروح القدس، ومن العذراء والدة الإله القديسة مريم، وتأنس وصُلِبَ عنا ...إلى آخر الكلام عن الاعتراف.

إزاي أحنا دخلنا السما؟ هقولك بس احفظ الكلام في قلبك.

أول شيء، الرب يسوع كراع صالح هو اللي طلبنا موش أحنا اللي سعينا إليه. بداية المحبة الإلهية في الله، ونهاية المحبة الإلهية هي الله الذي أرسل ابنه الوحيد لكي يخلِّصنا. يعني لازم تروح لينبوع المحبة ربنا يسوع المسيح وتقولّه أنت جيت علشاني، طيب أنا أَهُه جيت لك، إدِّيني شوية على قَدِّي من محبتك. وعلشان كده في كل مرة أنا الراهب مينا لَمَّا بادخل الكنيسة من عند الباب أقول المزمور "مساكنك محبوبة يا رب إله القوات"، وبعدين القطعة الخاصة بالرب يسوع في قانون الإيمان علشان أقدر أقرَّب من المذبح لأن "هذا الذي لأجلنا" هي دعوة الرب: "ها أنا واقف على الباب وأقرع إن فتح لي أحد أدخل وأتعشى معه وهو معي" (رؤ ٣: ١٧). وعلى قّدْ فهمي دي خاصة بالتناول.

ولَمَّا بنفتح ستارة الهيكل في باكر باقول: "ارحمنا يا الله الآب ضابط الكل. أيها الثالوث القدوس ارحمنا. أيها الرب إله القوات كن معنا"؛ لأن الله هو الذي دعانا ونحن نأتي إليه معترفين: "لأنه ليس لنا معين في شدائدنا"، ولا توجد شدائد أكثر من حرب الشيطان، وهي الضيقات التي تجعلنا نهرب من صليب رب المجد.

انحدرت الدموع في هدوء من عينيه. لم يكن ينفعل وهو يتكلم في جلسات الاعتراف. كان يُعلِّم على قدر ما يمكن أن يقبله المعترف، وكان حريصاً على أن يقدِّم دائماً التعليم لمن يرغب لأن النفس التي لديها اشتياقات هي وحدها القادرة على قبول التعليم. أمَّا النفس التي ترضى بما هو حادث وكائن فيها، فهي لا تبغي التقدم. هكذا كانت خلاصة الاتجاه كله. لا

يُفرض التعليم على أحد، يكفي الامتناع عن الخطية، وهو "أحط درجات التوبة؛ لأن أول علامة على بداية توبة حقيقية هي اندفاع النفس نحو الله والشوق إلى حياة الصلاة، وهي تعني فعلاً أن النفس ذاقت عربون حياة الدهر الآتي".

ولذلك توقَّف عن الكلام وقال: "بركة وقوة الإيمان تكون من نصيبك"، ثم أعطاني مخطوطة رسائل الأنبا أنطونيوس الكبير وقال: "عاوزك تقرا الرسالة الأولى وبعدين لينا قعدة تانية. ثم نظر إليَّ وقال: أنت حافظ قانون الإيمان؟ فقلت: نعم. فقال: الأستاذ يسى عب المسيح قال لي إن كلمة قانون تعني "الدفة"، سمعت منه الكلام ده؟ فقلت له: نعم، في الإكليريكية.

وبدأت أُدرك أن الاستعداد الروحي والقلبي هو في أن يغسل الإيمان القلب؛ لأن الاستعداد الجسداني الشائع عندنا ليس له قيمة بالمرة إذا لم يكن مرتبطاً بالاستعداد القلبي.

* * *

مرت أيام لا أذكر عددها، وقد صار قانون الإيمان هو الدفة التي تحرك سفينة العمر، وتدفع نحو "ميناء الخلاص"[١].

في الكلية الإكليريكية أعطاني القس شنودة السرياني مجموعة ميامر الشيح الروحاني، طبعة الدير المحرق، وقال لي: هذا الرجل اشتعل قلبه بالمحبة الإلهية. ثم حصلت على كتاب "سلم الدرجي" طبعة الأستاذ حبيب جرجس،

---

(١) كان القمص مينا المتوحد هو مؤسس مجلة مينا الخلاص في محاولة لبعث التعليم الروحي. وتاريخ العمل في مجلة مينا الخلاص يحتاج إلى من يعرف أكثر مني ليكتب عن المنشورات والرسائل، وعن أسباب توقف هذا المشروع.

ولكن ذهني انحصر في الرسالة الأولى للأنبا أنطونيوس التي كانت ولا تـــزال من البساطة حتى أنها كانت صعبة جداً "لأن نقاوة التعلـــيم لا تـــدخل إلى القلوب غير النقية" (الأنبا كيرلس السادس)، وهكذا كنت على أحـــر مـــن الجمر لأن أعود إلى كنيسة مار مينا.

الاستعداد الروحي للتناول

(٢)

جلسنا في المعمودية مثل المرة السابقة. وكانت معي الرسالة الأولى للأنبا أنطونيوس الكبير نقلتها بيدي، وهي وصية أبونا مينا المتوحد. وتوقفت عند الرتب الثلاث التي تُدعى بها النفوس الراجعة إلى الرب، وبشكل خاص عبارة القديس أنطونيوس: "وأنا أقول لكم إن كل الذين دخلوا بكل قلوبهم يتعلمون الصبر إلى أن يقدروا على مقاومة العدو. هؤلاء قبل كل شيء يدعوهم الروح القدس ويسهِّل عليهم كل الأمور حتى يُحلِّي لهم الدخول في التوبة". لا توبة بدون عمل الروح القدس. وقال أبونا مينا المتوحد: "إن الفرح هو الذي يجعل القلب قادر على مقاومة الأفكار الطائشة، ولذلك "صغيري القلوب" هم الذين ضاع منهم الفرح الروحي وصاروا فريسةً سهلةً للشيطان".

ويقول الأنبا أنطونيوس الكبير عن الروح القدس: "ويُظهر لهم طرقها الحقيقية لكي يتوبوا بأرواحهم وأجسادهم".

وكانت التوبة عندي هي توبة الروح، ولكن ما هي توبة الجسد؟

ونظر إليَّ أبونا مينا في إشفاق وسألني: أنت بتسجد ليه باسم الثالوث؟

فقلت: ميطانية.

قال: ميطانية تعني توبة. وعند عامة الناس دي قانون توبة، ولكن عند الشيوخ السجود هو تسليم للجسد، يعني لم يعُد الجسد ملكاً لنا، وصار آنيةً مقدسةً للرب يسوع. السجود هو تقديم الجسد للرب. ده يخلِّي جسدك بعد شهور وربما سنوات تائباً؛ لأنك نزعت عنه بنفسك الخصوصية والملكية الخاصة، وصار ميراثاً للرب يسوع. صعب عليك الكلام ده؟

فقلت له: لأ.

قال: لكن إذا تحوَّل السجود إلى قانون فقط، سَقَطَتْ قيمته وعاد الإحساس إلى النفس بأن الجسد خاص بها، ولذلك السجود لا يكفي، بل الوقوف أيضاً؛ لأنه "الانتباه" والتأدب في حضرة الرب، ثم رشم علامة الصليب.

دي أول خطوة، لكن ده كله لازم يكون ثمرة للفرح الروحي والرجاء في الحياة الأبدية. أنت يا ابني عاوز تقوم في يوم القيامة وتكون عن يمين الرب وتجلس معه في السماء؟

فقلت: نعم.

قال: حطيت القيامة هدف بينك وبين يسوع المسيح إلهنا؟

قلت: إزَّاي؟

قال: يعني إحنا قلنا إن قانون الإيمان هو اللي ينقي القلب، طيب موش آخر قانون الإيمان "وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر آمين"، يعني كل الكلام اللي اعترفنا بيه يؤدِّي بنا في النهاية إلى القيامة. هل طلبت من الرب

يسوع أن يعطيك الفرح بالقيامة؟ مسألتش نفسك ليه بنقول في التسبحة: "ننظر إلى قيامة المسيح، ونسجد للقدوس يسوع المسيح ربنا الذي بلا خطية وحده"؟ وسَكَتُّ لأني لم أعرف.

فقال: لأن بعد كده بنقول "لأنه من قبل صليبه دخل الفرح إلى العالم كله". الصليب هو فرح القيامة؛ لأن الرب يسوع جرَّد الموت و"سحق الموت بموته"، وإحنا أخدنا من القيامة قوة حياة، بل القطعة بتقول "امتلأنا بالحياة من قبل قيامته". لقد تحررنا من الفساد والتغيير، ولما يبقى ده هدف، تلاقي الجسد نفسه يعرف أن فيه حياة أسمى من حياة الخطية.

أُطلب يا ابني قيامتك، موش لأن الصلاة هي مصدر القيامة، أبداً، **ولكن علشان كل شيء في صلواتنا يفضل حاضر في القلب، واللي حاضر في القلب يكون حاضر في الإرادة.**

سألته: طيب، السجود تسليم للجسد، ولكن بعد الصلاة والسجود، بَرجع إلى حياتي الاجتماعية قبل الصلاة.

قال: ده صحيح عند اللي بيصلي الفرض وينجِّس الأرض. يعني ترجع ريمة لعادتها القديمة.

هَقولّك على حاجة إحفظها في قلبك.

أنت محتاج لأربع خطوات، ولازم يكون عندك رجاء وصبر ومحبة نارية علشان تداوم؛ لأن "المثابرة" هي أحد مفاتيح النمو.

أولاً: لازم تعرف أننا بنقول "عندما أقف أمامك جسدياً انزع من عقولنا نوم الغفلة"، وده هو الظن بأن العالم فاضي، وأن المسيح موش كائن فيه.

عبارة القداس الغريغوري لازم تكون جزء من "الصَحَيَان"، وهي "وعند صعودك إلى السماوات إذ ملأت الكل بلاهوتك"، المسيح بقيامته رد الحياة للكون كله، ولكن هذه الحياة هي دور المخاض اللي ذكره معلمنا بولس (رو ٨: ٢٢- ٢٦)، وعلشان قلبك يبقى نضيف لازم تميِّز بين "المخاض"، وبين "الامتلاء". ارجع لميامر مار اسحق السرياني عن الرؤيا الروحية التي تمنع الإنسان من التعامل مع الكون كله كما لو كان الكون ملك له أو ملك البشر، أو ملك الشيطان. أبداً دي كلها قوات تتصارع مع بعض وقائد هذا الصراع هو الرب يسوع الذي يدفع كل شيء نحو التجديد في اليوم الأخير. شوف بنفسك، أنا مقدرش أساعدك، أنت لازم تعرف فين صراعات الموت مع الحياة وتقف مع الحياة.

ثانياً: لازم تلازم أسم الرب يسوع في قلبك، موش بس في الإبصاليات، لكن لازم تعمل اللي بتقوله كل إبصالية. كل يوم وكل ساعة. ولو قدرت يا حبيبي أنك تبدأ كل عمل أو قول مهما كان، باسم الرب يسوع في قلبك، هتلاقي الحياة اختلفت.

ثالثاً: لازم تعمل التسبحة كل يوم. أنا مَطلبتش منك ده قبل كده، وقلت لك الإبصاليات علشان كنت لسة صغيَّر، ولكن أنت دلوقتي

تستحمل. التسبحة تضعك أمام الكنيسة الجامعة في المجمع، وفي الذكصولوجيات، وأنت محتاج لشفاعة أم النور علشان تنمو في محبة الرب يسوع.

رابعاً: إحفظ صوم الأربعاء والجمعة على قدر احتمالك؛ لأن الصوم ضروري لهدوء النفس، والصوم له أخ اسمه "الاعتكاف"؛ لأن الصوم يقطع وتيرة حياتنا الأسبوعية. والصوم له أب اسمه "صلاة المزامير"، وعلى قد ما تقدر كل ساعة بساعتها وحسب المناسبة الطقسية، يعني بالذات صلاة الساعة الثالثة اللي بنطلب فيها معونة الروح القدس، وصلاة الساعة السادسة اللي بنتصلب فيها مع المسيح، ونموت معاه في الساعة التاسعة، وننـدفن في الغروب والنوم، لحد كده كفاية عليك. بس عاوزك تكون ابن الله الحر موش العبد اللي عليه مقاولة ومقطوعية. إذا عشت بعقل وفكر العبد وإرادة العبد هتتعب لأن دي موش وصايا إلهية، وإنما ترتيب الكنيسة لحياة التوبة. يعني موش قادر تصلي كل المزامير، صلي ولو مزمور واحد، والقطع ضرورية مع الإنجيل.

الاستعداد الروحي للتناول

(٣)

مرت أيام كثيرة، و لم يسألني عن الممارسة. كان ينتظر أن يسمع، و لم تكن لديه رغبة في ملاحقة أحد. الاعتراف ليس بالخطايا، بل هو طلب اقتناء التمييز، ولذلك كان حريصاً على متابعة ما اعترف به، و لم يسألني مرة سؤالاً واحداً، كان ينتظر حتى يسمع، وأحيانا كان يعرف ما في قلبي لأنه كان يحدثني عنه بكل محبة.

في اللقاء الثالث كان التشديد على "أعمال الخَدَم"، وهي الاهتمام بكل من له حاجة جسدانية أو روحية، وتوقفنا عند عبارة الأنبا أنطونيوس الكبير التي يذكر فيها "إن طهارة النفس مع طهارة الجسد هي طهارة واحدة"، خصوصاً عبارة الأنبا أنطونيوس الكبير: "هذا هو تعليم الروح القدس؛ لأنه يقودهما "النفس والجسد"، ويطهرهما ويمحو منهما الطبائع الممتزجة بالجسد وينقلهما كليهما إلى الخلقة الأولى التي كانت لهما قبل المخالفة (السقوط)".

قرأت الرسالة الأولى عدة مرات وبحثت عن "تعليم الروح القدس" في مكتبة الإكليريكية، وسألت كثيرين و لم أسمع شيئاً ذي بال.

كانت كثرة الكلام تضايقني جداً؛ لأن أبونا مينا قال: المعلم الفاضي كلامه كتير ولا يعطي أي كلمة عن الممارسة الكنسية، ولذلك تركت الأمر لتدبير الله.

عدت إلى كنيسة مار مينا بعد ما يزيد عن شهر، وكانت امتحانات نهاية العام في الإكليريكية قد انتهت، وبدأت إجازة الصيف، وكان البعض يستعد للخدمة، وطلبت الإعفاء من الخدمة الصيفية في القرى.

عندما جلسنا في نفس المكان بعد عشية السبت قال لي: أنت مهموم قوي ليه؟ فقلت له: وجدت كلام أنبا أنطونيوس صعب، بل عسير، وسألت و لم أسمع شيئاً. ما هو تعليم الروح القدس؟

قال: الرسول بولس بيقول إن الاعتراف بالمسيح إله هو عمل الروح القدس (١كور ١٢: ١ – ٣)، والحَبَل بالابن له المجد تم بالروح القدس. وقاد الروح القدس الرب لكي يحارب العدو في البرية. والمعجزات كانت تتم بقوة الروح القدس. والرب صُلِبَ وقام بالروح القدس، ثم حلَّ علينا الروح القدس في يوم الخمسين.

ونظر إليَّ وابتسم وقال: أنت لسة موش فاهم؟

قلت له: نعم، موش فاهم.

قال: تدبير الخلاص وتعليم الروح القدس هوَّ ربطْ الإنسان بالرب يسوع برباط الخلاص، موش برباط العبودية. يعني مثلاً تجسُّد الرب يسوع بالروح القدس تلاقيه في القداس في استدعاء الروح القدس على الخبز والخمر. الصراع ضد العدو تلاقيه في قلبك لَّما يحرّك الروح القدس قلبك لكي

تتمسك بكلمة الله زي معلمنا يسوع المسيح. الروح القدس هو الذي نقول عنه في قانون الإيمان: "الناطق في الأنبياء"، وهو "الرب المحيي".

قال أبونا مينا: أول وأهم تعليم عن الروح القدس هــوَّ "الإفــراز". وكان شيوخ الدير يقولوا لنا: "فرزن"، يعني مارس الإفــراز، أي التمييــز. والتمييز يبدأ في القلب نفسه بالتمسك بوصايا الرب يسوع لأن ده هوَّ العهد اللي بناخده في المعمودية بعد جحد الشيطان، أي "الوصايا المحيية"؛ لأن دي هيَّ اللي بتفرز بين الخير والشر. والذي لا يسلك حسب وصايا الرب يسوع لا أمل له في شيء لأنه قال: "الذي يحبني يحفظ وصاياي".

شوف يا ابني، حفظ وصايا الرب يسوع هي نقاوة للقلب والفكر. الإنسان يختار الخير والصلاح، وهوَّ ده نفسه وصايا الرب يسوع. وإذا اختار أي شيء آخر فلا رجاء له لأن الإرادة تبقى مستعبدة، والعبد لا يعرف المحبة؛ لأن المحبة مستحيلة بدون الحرية، والحرية مستحيلة بدون تغيير القلب بوصايا الرب يسوع. إن عشت حسب الوصايا تجد تعليم الــروح القــدس لأن ده موش تعليم مكتوب في كتاب، وإنما يكشفه الروح القدس ويقوله لكل قلب وعقل اختار السكة دي لأنها سكة المسيح.

عيش يا ابني كده وبعدين نكمِّل الكلام.

وأعطاني التحليل وانصرفت ولديَّ جوع شديد للمعرفة.

في اليوم التالي حضرت القداس الثاني وخدمت مع أبونــا منصــور البراموسي. وجاء أبونا مينا في نهاية القداس وطلب مني البقاء. كنت في السنة الأولى في الإكليريكية/ القسم النهاري، ولم يكن لي مــأوى غــير الكليــة

الإكليريكية؛ لأنني كنت قد طُرِدتُ من البيت بسبب التحاقي بالكلية الإكليريكية، ولكن كانت توصية أبونا مينا المتوحد للقمص مكاري السرياني (الأنبا صموئيل) كافية لأن أجد رعاية كاملة من د. وهيب عطا الله، والقمص صليب سوريال، والقس شنودة السرياني، والأستاذ عبد المسيح بشارة (المتنيح أنبا أثناسيوس مطران بني سويف). وقدَّم لي الطعام بنفسه مع كوب من الشاي، وطلب مني أن أقرأ ميامر مار أوغريس، ولكن لسبب لا أعرفه، لم يسمح لي باستعارة النسخة الخطية التي كانت عنده. و لم أجد الميامر في مكتبة الإكليريكية، ولكنني وجدتها في مكتبة دير السريان. وقرأت وقرأت و لم أفهم شيئاً.

كانت الإجازة الصيفية توشك على الانتهاء، وعدت من دير السريان إلى القاهرة بحمى شديدة. ولكن رغم مرضي ذهبت إلى أبي الروحي، وقلت له إنني قرأت الميامر و لم أفهم منها إلاَّ القليل.

فقال وهو يضحك: كل شيء له أوان.

و لم أخبره بالمرض، ولكنه دون أن أسأله رشمني بالزيت، وقال: أنت خايف تموت؟

فقلت له: نعم.

فقال لي: فيه أنواع من الخوف: الخوف اللي عندك ده، خوف من النار الأبدية، ولاَّ خوف لأنك لسَّة ما تعرفش الحياة السماوية، ولاّ خوف سببه عدم الاستحقاق والشعور بالخطية، ولاَّ عدم ثقة في محبة الله؟ يعني أنت عارف سبب خوفك؟

فقلت له بكل صراحة: لا.

فقال لي: طيب، ده أول درس في تعليم الروح القدس، أطلب استنارة من الروح القدس المعزي علشان يكشف لك اللي "جوّة، جوّة في قلبـــك". ثم قال: عيان ولاّ سَليم، لازم تيجي الكنيسة، أوعى يفوتك قداس الأربعاء أو الجمعة أو الأحد، ودول كفاية عليك.

وجلست في الكنيسة أفكر بعد أن انصرف. ما هو سبب الخـــوف، وربما كانت كل أنواع الخوف التي ذكرها موجودة، ولكن كيف "أفـــرز"؟ ورغم الحيرة كان في قلبي سلام عميق وفرح غامض أشبه بفرح الطفل وهو يسير على قدميه لأول مرة غير مبالٍ بما سوف يحدث.

"قلبك اللي جوّة"

لقد مرت شهور قبل أن أدرك أن ما يطفو على السطح من مشـــاعر وأفكار وانفعالات لها جذور غير ظاهرة مدفونة في أعماق مظلمة لا أعرفها لسبب واحد، وهو أنني مشغول بما يطفو على السطح، أي ما في الـــوعي. ولكن ما هو ذلك "القلب اللي جوّة"، وهو كما عرفت فيما بعد تعبير قبطي نسكي قديم نُقِلَ إلى العربية الدارجة، ذلك القلب قال عنه أبونا مينا ثلاثـــة أشياء هامة ما زلت أذكرها جيداً كما لو كنت قد سمعتها منذ دقائق:

الأولى: وهي حسب اللغة الدارجة التي لا أذكر أنني سمعتها من قبل، وربما لا تزال مجهولة، وهي"ستر العورة"، أو باللغة الحديثة "الخجـــل مـــن مواجهة صريحة مع النفس"، ولها أسم آخر في سفر التكوين "الاختبـــاء"، أو

"الهرب" من الله. لأن الله الحال في نفس كل إنسان هو ما نخشى أن نعرفه لأنه نور الحق نفسه. لقد ستر آدم العريان نفسه بأوراق الشجر التي لا تدوم، والإشارة الرمزية هي أن الإنسان يختبئ من ذاته لفترة، ولكنه يواجه الحقيقة التي تظهر مهما طال الأمد. ولذلك فـ"القلب اللي جوّة" هو بداية المواجهة مع النفس لطلب الحقيقة التي لا نريد أن نواجهها. تطفو هذه الحقيقة على سطح الوعي الإنساني في صورة أفكار ومشاعر، لكن الوعي الحقيقي بها هو في البحث عن جذور ما يطفو على السطح. هذا ما يكشفه الروح القدس للنفس. هنا يُعلِّم الروح القدس النفس كيف تترك ما هو ضد المسيح، أي ما هو ضد المحبة الإلهية.

قال لي: أول مبدأ للإفراز هو ألاَّ تشك فيما تعرف؛ لأن الشك زي الدخان الأسود، يخليك موش قادر تشوف، ولكن أكشف كل أفكارك للرب يسوع وهوَّ بوداعة محبته هيكشف ليك إذا كانت أفكارك صحيحة ومعرفتك صالحة ولاَّ بطّالة. هتسمع صوت الرب يسوع نفسه في قلبك وهيأكد لك الروح القدس أن ده هوَّ صوت الرب يسوع. وهتعرف أن ده حق من تلات علامات: الأولى إنه صوت مليان بالرجاء. والتانية إنه إرشاد لمحبة وصايا الرب. والتالتة إنه من أجل المحبة التي بلا خوف.

المحبة الإلهية يا ابني موش عواطف، وإنما صلاح وقبول وبذل ومغفرة وثبات في الرجاء الأبدي. العواطف زي موج البحر، تيجي وتروح، وإنما ثبات المحبة الإلهية هوَّ في سلام الله الذي يعطى للنفس. العبد يخاف من العقوبة والابن الحر يخاف من خسارة الكرامة الإلهية.

كان التمييز بين المحبة الإلهية والمحبة كعواطف وانفعالات نفسانية هو تمييز عرفته

الثانية: لم أسمع من أحد قبل أبونا مينا عن ضرورة الاعتكاف للبقاء في حضور دائم مع الرب يسوع في قراءة الأسفار المقدسة وفي الصلاة.

وقال لي: البقاء مع الرب يسوع يغرس في القلب محبة الرب، حتى أن الإنسان يخجل من أي فكر باطل يبعده عن الرب أو يرده إلى حياته القديمة. إذا شعرت بالخجل من الرب موش بالخجل من نفسك يبقى دخلت أول سكة الملكوت، يعني دي هيَّ أول لمسات الروح القدس لقلبك لأنه هيقول لك بإحساس، وربما بدون كلام: أنت مع المسيح، وفكرك ده لا يليق بك كابن. علشان كدة لازم تكون مع الرب وكل فكرة في قلبك اعرضها عليه، ولازم اسم الرب يسوع حسب ترتيب الابصاليات، ويمكن أسهل ترتيب هوَّ أنك كل حاجة عاوز تعملها تقولها للرب يسوع، وكل فكرة تعرضها عليه، وده يبعدك عن العالم وعن نفسك وتبقى مشغول بالمسيح أكتر ما تكون مشغول بنفسك.

الثالثة: قال لي: عاوزك تتعلم أول آداب الحياة النسكية، وهي أن كل عضو في جسدك ليه جذر في نفسك وفي فكرك. أنبا أنطونيوس بيقول إن الروح القدس يتوِّب النفس والجسد، يعني يخلِّي النفس والجسد واحد ويطهَّر القلب من اعتبار الجسد شيء أو آلة، يعني جسدك موش شيء آخر غيرك. الخطية تخلق غربة الإنسان عن جسده، وتخلِّي الجسد كما لو كان

هدف أو غاية تسعى إليها النفس بسبب اللذة الطبيعية التي غرسها الله في الجسد من أجل بقاء الحياة. لكن هتلاقي الروح القدس يعلن لك إن رجليك وأيديك وكل عضو في جسدك هوَّ عضو في نفسك وفي عقلك وفي روحك هوَّ يتحرك من جوّة القلب موش بحركة خارجية.

يوم ما تعرف وتشوف أن ده حصل لك، أعرف أنك رميت حمل كبير وهوَّ أن الجسد موش معطِّل ولا شيء آخر غيرك. حتى التعب بعد السهر أو بسبب الانقطاع يتحول إلى فرح وتقدمة قربان محبة للرب يسوع، وتقول له أغرس فيَّ حلاوة اسمك القدوس علشان أحب التعب والسهر علشان أكون طاهر، نقي ومقدس في حضورك الإلهي الأبدي.

لقد نقلت هذه الكلمات لأن أبي، البابا كيرلس السادس/القمص مينا المتوحد، عرفه الناس كرجل صلاة وكشفيع وصاحب معجزات، ولم يدرك الذين كتبوا مئات الصفحات أنه كان راهباً متوحداً حتى وهو بطريرك، وأنه أتقن الحياة النسكية.

إن ما أعرفه هو أقل مما كان لديه وعرفه واختبره، وما سمعته نقلته كما سمعته، ومن يحيا في نور الروح القدس يدرك أن التعليم صحيح بغض النظر عن قائله وناقله؛ لأن الحق عائد إلى الله "أبو الحق"، وليس إلى البشر.

إبصالية لأسم ربنا يسوع المسيح
ترتيب الأب مينا المتوحد (قداسة البابا كيرلس السادس)
مرتَّبة على الحروف الأبجدية[١]

اشـــــتاقت نفســـــي إليـــــك — يـــا ربي يســـوع المســـيح رجـــائي
أنـــــت كـــــتر حيـــــاتي — يـــا ربي يســـوع المســـيح أعـــني
بركـــــة اسمـــــك تكفـــــيني — يـــا ربي يســـوع المســـيح أعـــني
تعالى يا ربي يســـوع وأنـــر حيـــاتي — يـــا ربي يســـوع المســـيح أعـــني
ثقل خطايـــاي أنـــت احملـــه عـــني — يـــا ربي يســـوع المســـيح حمـــل الله
جمـــال محبتـــك يضـــبط خـــوفي — يـــا ربي يســـوع المســـيح مخلصـــي
حملـــك هـــين ونـــيرك خفيـــف — يـــا ربي يســـوع المســـيح حيـــاتي
خـــدرك الســـماوي هـــو غـــايتي — يـــا ربي يســـوع المســـيح قدســـني
درب صـــــليبك هـــــو دربي — يـــا ربي يســـوع المســـيح أعـــني
ذنـــوبي يـــا رب لا تـــذكرها — يـــا ربي يســـوع المســـيح أعـــني
راحـــة نفســـي عنـــدك وحـــدك — يـــا ربي يســـوع المســـيح عزائـــي
زدني إيمانـــــاً بمحبتـــــك — يا ربي يسوع المسيح محب البشـــر
ســـعادة وفـــرح قلـــبي فيـــك — يا ربي يسوع المسيح أنـــت مجـــدي
شـــدائدي أنـــت تعرفهـــا — يـــا ربي يســـوع المســـيح قـــوتي
صـــد عـــني أفكـــار العـــدو — يا ربي يسوع المسيح أنـــت حصـــني

---

(١) نقلها تلميذه الخاطئ عن كراسة قديمة – مصر القديمة – دير مار مينا أغسطس ١٩٥٧.

ضـــــعفي لا يخفـــــى عليـــــك يا ربي يسوع المســـيح أنـــت ثبـــاتي
طلبتـــــك مـــــن كـــــل قلـــــبي يا ربي يسوع المسيح أنـــت عـــريس نفســـي
ظلـــل علـــيَّ بظـــل جناحيـــك يا ربي يســـوع المســـيح الراعـــي الحقيقـــي
عـــــوني أنـــــت وقيـــــامتي يا ربي يسوع المســـيح ملـــك الكـــل
غنيمـــة حيـــاتي هـــي أسمـــك يا ربي يســـوع المســـيح مخلصـــي الصـــالح
قـــــادر أنـــــت ورحـــــيم يـــا ربي يســـوع المســـيح شـــددني
كلامـــك أحلـــى مـــن العســـل يـــا ربي يســـوع المســـيح فهمـــني
لـــك العظمـــة والســـلطان يا ربي يسوع المسيح مع الآب والـــروح القـــدس
معرفـــةً وأدبـــاً علمـــني يا ربي يسوع المسيح ميناء خلاصـــي
نـــوَّر حيـــاتي وحصـــنها يا ربي يسوع المســـيح أنـــت إلهـــي
هذيـــذي الـــدائم هـــو اسمـــك يـــا ربي يســـوع لا تنســـاني
وعـــدك بـــالخلاص وعـــد حـــق يا ربي يســـوع المســـيح مخلصـــي الصـــالح
لا تتـــــركني عنـــــك يـــا ربي يســـوع المســـيح ســـلامي

حاشية للأب مينا المتوحد:

يا رب أرحم الكاتب والقارئ والناسخ، وأعط بركة أسمـــك لمـــن يصلي بشفاعة الست البتول أم النور، والشهيد مار مرقس، والشـــهيد مـــار مينا. أحفظ يا رب عبدك الراهب بالاسم مينا وأعطه ميراثاً مع شهيدك مار مينا ونصيباً مع آبائنا الرهبان الأنبا أنطونيوس والأنبـــا مقـــاريوس والآبـــاء الرومیین مكسيموس ودوماديوس.

من يحب العالم يخسر نفسه ويخسر العالم ويفقد ميراثه.